هناك من يترجم عنه. وهي غلطة شاطر ولا ريب. حتى قام الشاعر ممدوح عدوان، فصعد إلى المنبر، بعد أن نزل الرجل، ليلقي مقاطع جميلة مترجمة لها.

بقي أن نقول، ان فلتة الشوط في كل الملتقى، وربما لأكثر من ملتقى قادم، كان محمود درويش.

منذ عامين ونصف، والواحد منا يسأل عن محمود درويش، ويده على قلبه. كنا نخاف عليه، لأننا نخاف على الشعر. وقف محمود ليلقي قصيدته إلى بيروت. فملأ جو الملتقى شعرا حقيقيا. وتتالت التعليقات من الحضور وهو يلقيها: هوذا محمود درويش، يعود إلى محمود درويش. هوذا يعود إلينا.

كانت قصيدة مكتنزة، حتى على صعيد اللغة. ذكرتنا بقصائده في أواخر السبعينات، مع التأكيد على انها تواكب مسيرة الشعر، حداثة وعمقا، وهي لهذا، احتفظت بنداوة وعذوبة تلك القصائد، واكتناز وعمق اخر ما توصل إليه الشعر العربي الحديث. يبدو ان محمودا كان يعمل، ويكثر من العمل، على أدواته، يدخل في حوار جاد ومعمق مع تجربته. فلم يترك زيادة لمستزيد، ولولا خوف المبالغة والسرعة في اطلاق الأحكام، لقلنا انه غطى على الملتقى برمته...

أية مقاطع من القصيدة، تذكر، ان لم تكن كاملة، تسيء اليها ولا ريب. ولهذا، فهذه القصيدة بالذات تحتاج إلى دراسة تفصيلية ومعمقة. ومع ذلك، هل من ضير في أن نذكر بجزء يسير منها؟

«تفاحة للبحر
نرجسة الرخام
قرنفلة حجرية بيروت
شكل الروح في المرآة
وصف المرأة الأولى
ورائحة الغمام...
بيروت من ذهب ومن تعب
وأندلس وشام...
ورقاء سنبلة، تشرد نجمة
بيني وبين حبيبتي بيروت
لم أسمع دمي من قبل ينطق...
باسم عاشقة تنام على دمي
وتنام!!...»

في الأمسيات التالية، وعلى امتداد أسبوع حافل بكل مثير، كما يقال، فاجأنا شوقي بغدادي بقصيدة ولا أعذب. انها لعبة الشاعر المعروفة على توقيعات الأنغام الشعبية، الدمشقية في الغالب، وبمعرفة متمكنة لأسرار اللغة، التي اسلست له قيادها منذ أمد بعيد...

يبدأها بلمسة صوفية آسرة، وهو حتماً ينحو منحى الصوفية الجديدة، التي تتجه بموضوعة العشق، إلى الناس، الجماهير، والفقراء...

«ما أكثر العشاق... وما أقل العشق...»

وقديما قالوا: القصائد بمطالعها؛ وهذا المطلع الساحر، فيه شبه تلخيص واضح للمرحلة... خاصة إذا كان موضوع العشق هنا، في الأغلب الأعم، هو فلسطين...

وعلى امتداد أيام الملتقى، وحتى الآن، يتردد هذا المطلع في المخيلة... انه واحد من المطالع التي تسكنك، فلا تستطيع منها خلاصا... ما تبارحك... «ما أكثر العشاق... وما أقل العشق...»